الى اللهو والزهو والخلاعة ، كالرومان في آخر عهدهم . فنقلها عنهم الحضر وسكان المدن . ولكنَّ أَهلَ البادية والجبال ظلُّوا على ما كان عليهِ آباؤهم ، ولا يزالون على ذلك حتى الآن في غنائهم وعيشتهم وتقاليدهم وفخارهم وشجاعتهم . فاذا أردنا العود الى مجدنا فلنعد الى صلب الشعب في بواديهِ وقفاره ، حيث نجد الكرَم والجود والشجاعة والحماسة والنبل والشرف والعزّة والانفة

داود برقات

الجامعة المصرية

« في خمس سنوات »

في اليوم الاخير من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٦ نشر مصطفى بك كامل الغمراوي ، احد اعيان مديرية بني سويف ، دعوة على صفحات الجرائد المصرية سأل فيها سراة المصريين وأفاضلهم التعاون على انشاء مدرسة جامعة . وختم دعوته بقوله « انني اكتتب لهذا العمل الخطير بمبلغ ٥٠٠ جنيه »

ثم حضر الى العاصمة وخاطب بعض الافاضل وذوي الرأي في المسئلة فلقي منهم كل رعاية وانعطاف . وكان في طليعة منشطيه سعادة سعد باشا زغلول — وكان يومذاك مستشاراً في محكمة الاستئناف — فدعا الى منزله في حي المنيرة الراغبين في اتمام أمنية الغمراوي بك فاجتمعوا لأول مرة في الاسبوع الاول من شهر اكتوبر سنة ١٩٠٦

وكان أول عمل فكروا فيهِ هو ابعاد المشتغلين بالصحافة عن المشروع وانتخبوا سعادة سعد باشا زغلول وكيلاً للرئيس — الذي يكونوز قد اتفقوا عليه فيما بعد — وقاسم بك امين سكرتيراً ، وأصدروا أول منشور باسم الجامعة جاء فيـهِ : « ان المقصود هو انشاء مدرسة علوم وآداب لكل طالب مهما كان جنسه ودينه بدون مداخلة في السياسة . ويقتصر فيها على إلقاء دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنوّر عقول الطالبين وتربي ملكاتهم وتهذب عواطفهم وتبلغ بهم الكمال في أنواع ما يتلقونه بها من العلوم »

***

مضى على هذه الجلسة شهران ولا شاغل للاقلام الاَّ الجامعة وتنشيطها؛ ونهض لمعاكستهم نفر قالوا انه لا يجب الاقدام على العمل ولا التشجيع عليهِ الاَّ اذا صبغت الجامعة بالصبغة الدينية . ولكن هذا الرأي لم يصادف هوى من قلوب المشتغلين بالمسئلة

ثم عقدت الجلسة الثانية وأعلن فيها سعادة سعد باشا زغلول تخليه عن المشاركة العملية في لجنة الجامعة لتعيينه ناظراً للمعارف العمومية واكد انه لا يفتر عن تعضيد المشروع . وألقى المرحوم قاسم بك امين خطبة ضمنها خلاصة ما تم للمشروع في شهرين وهو :

اولاً — اهتم كثيراً في البحث عمن يرئس اللجنة من الأمراء فلم يفلح ولذلك وقفت حركة الاكتتاب

ثانياً — خاطب احد امراء البيت الخديوي في ان يكون رئيساً للجامعة فلم يقبل ولم يرفض

ثالثاً — طلب مساعدة الحكومة فلم تقبل لأنها تعتقد ان مشروعاً كبيراً كمشروع الجامعة لم يأتِ الوقت المناسب لأن تقوم بهِ الأمة

رابعاً — ان سمو الخديوي أظهر ارتياحاً الى المشروع والقائمين بهِ وانتخب قاسم بك امين رئيساً، وانتدب حضرة محمد بك فريد لأعمال السكرتارية . ثم عهد فيها الى حفني بك ناصف فعبد العزيز بك فهمي . وسارت اللجنة في أعمالها بهمة ونشاط ولم يعترها كلل ولا ملل مع وفرة ما صادفتهُ من العقبات وتثبيط العزائم ، فاكتتب له الكثيرون — وفي مقدمتهم سمو الخديوي — بمبالغ طائلة من المال . ووقف له بعضهم مساحات واسعة من الاراضي . وكان في مقدمة الواقفين المرحوم حسن باشا زايد احد اعيان مديرية المنوفية حيث وقف لها مئة فدان ، ثم عوض بك عريان المهدي من اعيان بني سويف وقد وقف لها ٨٣ فداناً . ويقدر ثمن أطيان الجامعة كلها بمبلغ ١٧٠ ألف جنيه وبلغ ريعها في السنة الماضية ٨٦١ جنيهاً و ٦١٥ مليماً

وقبل صاحب الدولة البرنس أحمد فؤاد باشا ان يكون رئيساً للجامعة . وكان أول عمل أتاهُ ارسال عشرة من الشبان المصريين الحاصلين على الشهادة الثانوية وبعض ديبلومات المدارس العالية الى اوربا لدرس العلوم العالية حتى اذا أتموا دروسهم عادوا الى مصر للتدريس في الجامعة المصرية

وفي اول مايو سنة ١٩٠٨ سمي سعادة احمد باشا زكي مدرّساً لتاريخ التمدن الاسلامي واحمد بك كمال لتدريس تاريخ الشرق القديم . وتقرر ان

يلقي اساتذة ثلاثة : فرنساوي وانكليزي وايطالي محاضرات في آداب لغاتهم ثم تترجم الى العربية بعد القائها

واستؤجر معمل سجاير المسيو جنا كليس بائع الدخان اليوناني الشهير، في قصر النيل للجامعة فمحي اسمه من على واجهتها المبنية على الطراز العربي الأنيق، وأُبدل باسم الجامعة المصرية وتاريخ انشائها مكتوباً باللغتين العربية والفرنسوية. وفتحت أبوابها لالقاء المحاضرات في اول اكتوبر سنة ١٩٠٨ ثم أُعلن افتتاحها رسمياً بعد ذلك بشهر واحد تحت رئاسة سمو الخديوي المعظم

* * *

وانعقدت الجمعية العمومية للجامعة يوم ٢٩ ابريل الماضي وقدّم مجلس الادارة تقريراً للأعضاء عن حالة الجامعة جاء فيهِ انهُ «لم يمضِ سوى أربع سنوات منذ حظيت الجامعة برعاية سمو الأمير مولانا الخديوي المعظم (عباس حلمي الثاني) وهي فترة لا تعد شيئاً في عمر الجامعات اذ لو راجعنا تاريخها وما لزم لتكوينها من الوقت الطويل لوجدنا ان الجامعة المصرية خطت خطوات واسعة في هذا الزمن القصير»

ولا جدال في ان القائمين بأمر الجامعة وفي مقدمتهم دولة الرئيس لم يفتروا ساعة واحدة عن ترقية هذا المعهد الكبير. وفي خلال السنوات الأربع الماضية كان دولة الرئيس يقضي فصل الشتاء في مشاركة الاعضاء في الإشراف على جميع أعمال الادارة، فاذا حل الصيف يمضي معظم أوقاتهِ وهو بعواصم اوربا في مفاوضة بعض العلماء في الحضور الى مصر

للتدريس في الجامعة ، ويخاطب وزراء المعارف ورؤساء الجامعات بفرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا في مساعدة تلاميذ الجامعة المصرية باوربا على تلقّي العلوم في المعاهد العلمية الكبرى ، ويحث هؤلاء التلاميذ على الجدّ والاجتهاد في التحصيل حتى يشرّفوا أمتهم بعلمهم

ولكن هذه المجهودات لم تثمر الثمرة المنتظرة منها فان « المتأخّر من الاكتتابات لم يُدفع منهُ شيءٌ للجامعة » . ولم يكتتب لها أحد بشيءٍ في السنة الماضية ، وامتنع احمد بك الشريف عن ان يدفع للجامعة دخل المئة الفدان التي حبسها عليها « فاضطر مجلس الادارة الى النظر في أمر مقاضاته »

ورأت الادارة ان الإقبال قليل على حضور محاضرات التاريخ القديم والاقتصاد الزراعي فألغتهما . وكذلك ألغت الفرع النسائي « ريثما توفّق لوضع برنامج الخطة التي تتبعها فيهِ بحيث يكون موافقاً لحاجات السيدات المصريات » وكان عدد اللائي يحضرن هذه الدروس ٤١ سيدة

واصبحت العلوم التى تلقى في الجامعة قاصرة على الاداب وتاريخها والفلسفة وتقويم البلدان والتاريخ الاسلامي . ويدرّس آداب اللغة العربية الاستاذ الشيخ محمد الخضري . ويدرس آداب تاريخ هـذه اللغة المسيو جاستون فيت . ويدرّس تاريخ الأمم الاسلامية الاستاذ الشيخ محمد الخضري . ويدرّس علم تقويم البلدان ووصف الشعوب الاستاذ اسماعيل بك رأفت . ويدرّس الفلسفة العربية وعلم الأخلاق الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري . ويدرّس تاريخ المذاهب الفلسفيـة الاستاذ لويز ماسنيون .

ويدرّس تاريخ آداب اللغة الانكليزية الاستاذ المستر برسى وايت .
ويدرّس تاريخ آداب اللغة الفرنسوية الاستاذ المسيو لويس كلمان

وقد عني اثنان من طلبة الجامعة منذ أربع سنوات بجمع المحاضرات وطبعها في مجلة خاصة . ولكنهما لم يجدا شيئاً من الاقبال عليها فعطلاها . وأخذ مجلس الادارة على عاتقه طبع هذه المحاضرات في كتب مستقلة فبلغ ما أنفقهُ على طبعها في السنة الماضية ٣٣٦ جنيهاً و ٩٦١ مليماً

وكان عدد الطلبة الذين قيدوا أسماءهم في السنة الاولى نحو ٣٠٠ طالب منهم عدد كبير من طلبة المدارس العالية والازهر ، ثم أخذ عددهم يتناقص شيئاً فشيئاً ، فكان في السنة الماضية ١٢٣ طالباً ، وفي هذه السنة ٧٥ طالباً فقط

وتدل الانباء الواردة من اوربا عن حالة ارسالية الجامعة ان أعضاءها « قد برهنوا بما أبدوه من مثابرتهم وجدّهم في تحصيل المعارف على انهم أهل لأن تعتمد عليهم الجامعة في خدمتها خدمة خالصة »

وعهد مجلس الادارة الى سكرتير الجامعة في ترتيب المكتبة على النسق المتبع في مكاتب اوربا العمومية ، وينتظر اتمام هذا الترتيب بعد سنة ، ثم تُفتح أبواب المكتبة للجمهور

* *

وفي جلسة الجمعية العمومية الأخيرة طلب دولة الامير فؤاد باشا اقالته من رئاسة الجامعة . فقبلها الاعضاء آسفين وقرروا اسناد رئاسة الشرف اليه، ودوّنوا هذا القرار في خطاب حمله اليه وفد مؤلف من أصحاب

السعادة حسين رشدي باشا واحمد شفيق باشا وعبد الخالق ثروت باشا . ثم قرروا باتفاق الآراء ان يعهدوا في الرئاسة الى البرنس يوسف كمال باشا والرئيس الجديد خير خلف لخير سلف . فهو منشئ مدرسة الفنون الجميلة ، وصاحب الايادي البيضاء على الجامعة ونادي المدارس العاليـة . فقد وهب الجامعة مئة فدان ، وأعطى النادي قطعة أرض مساحتها ١٢٠٠ متر في الجيزة ، وتبرع بمبلغ ألفي جنيه لبناء دار للنادي في هذه الأرض ، وتعهد بانشاء مكتبة للنادي عهد في ترتيبها لحضرة حيدر بك فاضل شناسي . وقد اعلن خبر هذه المنحة السنيـة سعادة احمد باشا زكي على ملإٍ من الادباء والافاضل في جلسة عقدت بنزل الكونتيننتـال ، وختم خطبته بقوله ان الامير يوسف كمال أصبح بعطيته خليقاً بان يلقب « بحامي المعارف والآداب ، ونصير الأساتذة والطلاَّب »

ولا تزال الحكومة ثابتة على رأيها الذي أبدته منذ سبع سنوات ، وصرّح بهِ خفامة اللورد كرومر في أحد تقاريره وهو انه « لم يحن الوقت الذي يكون فيهِ للمصريين مدرسة جامعة » وقد تناقلت الألسنة اشاعة مفادها ان خفامة اللورد كتشنر خاطب دولة البرنس فؤاد في ضم الجامعة الى الحكومة او جعلها تحت اشراف نظارة المعارف . فلم يوافقهُ الامير على هذا الطلب . ولكن الكثيرين يؤكدون انه لا بد من ضم هـذا المعهد العلمي الكبير الى الحكومة آجلاً او عاجلاً ، فيصبح الى جانب مدارس الطب والحقوق والهندسة والزراعة مدرسة للعلوم الادبية يتخرَّج منها ادباء بديبلومات ! !

توفيق هبيب